بسم الله الرحمن الرحيم

∞∞∞

تم عمل المسح الضوئي لهذة الرسالة بواسطة / سامية زكى يوسف

بقسم التوثيق الإلكتروني بمركز الشبكات وتكنولوجيا المعلومات دون أدنى مسئولية عن محتوى هذه الرسالة.

ملاحظات:

- بالرسالة صفحات لم ترد بالأصل
- بعض الصفحات الأصلية تالفة
- بالرسالة صفحات قد تكون مكررة
- بالرسالة صفحات قد يكون بها خطأ ترقيم

جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم الدراسات الفلسفية

١٤٧٩

الأخلاق في الفلسفة الوجودية

رسالة

للحصول على درجة الدكتوراه

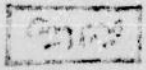

أعدها : سعد عبدالعزيز محمد الصادق

أشرف عليها : الأستاذة الدكتورة نازلي اسماعيل حسين

أبريل ١٩٧٤

شكـــر وتقـــدير

انه ليشرفني — في مستهل هذه الدراسة — أن أتقـــدم بجزيل شكري وعرفاني بالجميل الى أستاذتي الفاضلة الجليلـــة الأستاذة الدكتورة نازلي اسماعيل حسين التي أشرفت فأخلصت، وكانت خير مثل للأستاذ الجامعي المدرك لواجبه، المقـــدر لمسئولياته، والحريص على تكوين تلاميذه وطلابه.

سعد عبدالعزيز

تمهيد

تتكون هذه الدراسة من ٣٨٤ صفحة ، وتضم مقدمة وسبعة أبواب مقسمة الى أربعة عشر فصلا . أما المقدمة فانها تبين ضرورة تحديد مفهوم الأخلاق حينما يكون الحديث عن الأخلاق في الفلسفة الوجودية وينتهي الى أن الأخلاق الوجودية هي رد فعل قوي ضد المثالية الخلقية المجردة متمثلة في الأخلاق الكانتية . ومن هنا تأتي ضرورة الحديث عن الأخلاق الكانتية بوصفها التمهيد الضروري لفهم طبيعة الأخلاق الوجودية الا أن الوجودية - في موقفها هذا من المثالية الخلقية - لم تكن نشازا بل تابعا في ذلك كثيرا من فلسفات هذا العصر . واذا ما كان الأمر كذلك ، فان الحديث عن الأخلاق عند كانت ، وموقف الكثير من الاتجاهات الفلسفية المعاصرة منها ، يغدو ضروريا لفهم الأخلاق الوجودية . وهذا هو موضوع الباب الأول من هذه الدراسة .

واذا كان الموقف الخلقي عند الفيلسوف يتبع ، بالضرورة ، موقفه الفلسفي بوجه عام ، فان الحديث عن الأخلاق الوجودية يقتضي أيضا الالمام بموقفها الابستمولوجي ، وهذا يقتضي ، بدوره ، الحديث عن الحقيقة عند الوجوديين وبيان طابعها الذاتي المحض . وهذا هو ما تناولته هذه الدراسة في بابها الثاني ، بفصليه ، تحت عنوان " الذات والحقيقة عند الوجوديين " .

وتحت عنوان " الذات في الفلسفة الوجودية " ، يتناول الباب الثالث ، في فصله الأول مفهوم الوجود والفرد في الفلسفة الوجودية مبينا مكانتهما في هذه الفلسفة . أما الفصل الثاني فانه يتصور ، باسهاب ، الحديث عن مفهوم الحرية عند الوجوديين ، وبين أن الحرية ، في نظر هؤلاء الفلاسفة ، مكافئة لوجود الانسان بحيث يغدو القول بأنه حر ، مكافئا للقول بأنه موجود .

أما الباب الرابع ، فانه يتناول " الأخلاق الذاتية عند الوجوديين " ويبحث في فصله الأول أن القيم الأخلاقية عند الوجوديين قيم ذاتية نسبية جزئية متغيرة وأن التحليلات السابقة للحقيقة والفردية والذاتية والحرية لا يمكن أن تؤدي الا الى هذا النوع الذاتي من القيم ، وأن هذه القيم هي القيم الوحيدة التي تتسق وطبيعة هذه الفلسفة وتتضمنها وتخلقها ، وهي - في النهاية - قيم مؤقتة لتطورها عند هم موقف نبتته من الأخلاق

الشقاوة وقلبه لها . وذاتية هذه القيم هي التي حدت بسارتر الى القول بأننا لانستطيع أن نتحدث عن أخلاق وجودية بل عن وصف أخلاقي للصيرورات الانسانية والغايات الممكنة التي تشترعها الأنية في اختيارها الأصلي ، وهذا هو ما يكشف لنا عنه التحليل النفسي الوجودي . وهذا هو موضوع الفصل الثاني من الباب الرابع .

الا أن " الوجود ـ مع " ـ الآخرين ـ في ـ العالم " الذي هو مقولة أساسية في الفلسفة الوجودية ، من شأنه أن يفضي الى قيام نوع من القيم العامة الموضوعية . ولعل هذا هو السبب فيما نجده ، في كتابات الوجوديين وكتاباتهم ـ رغم انكارهم لهذه القيم ـ من عبارات أخلاقية عامة تصاغ بصيغة كانتية محضة ، وهذا هو ما أسهب نسي بيانه وتفصيله الباب الخامس بفصليه الأول والثاني .

أما الباب السادس بفصليه ، فانه يتناول " حياة الذات " في الفلسفة الوجودية ويبين كيف أن الذات تنتقل ـ عن طريق اليأس ـ من مدرج حسي يخلو من كل قرار ومسئولية ، الى مدرج أخلاقي هو مدرج الالتزام والمسئولية والواجبات الأخلاقية . وهذه الواجبات الأخلاقية تتسم بأنها ذاتية وعامة في الوقت نفسه ، فهي ذاتية شخصية من حيث أني أنا الذي أشرعها لنفسي وأفرضها عليها ، وهي عامة كلية أيضا من حيث أنني ـ في التزامي بها ـ أطالب جميع الناس بأن يلتزموا بها أيضا .

وعمومية هذه القيم هي التي أدت بكيركجور ، بعد ذلك ، الى الهجوم عليها والقول بتعليق الأخلاق خصوصا حينما يكون الأمر أمر الدين . فعندما يرتقي رجل الأخلاق الى المدرج الثالث والأخير من مدارج الحياة ، وهو المدرج الديني فانه ينفذ ما يأمر به الدين حتى وان تعارض مع الأخلاق . وتعليق الأخلاق هنا يشبه كثيرا سقوط التكليف بالنسبة الى المؤمن الواصل . على أن هذا لهو بالشبه الوحيد بين الوجودية والصوفية بل اننا لنجد الكثير من أوجه الشبه بينهما ، وهذا هو ما تناوله ، بالتفصيل ، الباب السابع تحت عنوان " الأخلاق ... لماذا ؟ " .

وتنتهي هذه الدراسة الى أن الأخلاق الوجودية أخلاق ذاتية جزئية نسبية متغيرة . حقا أننا نجد لدى الوجوديين نزعا من القيم العامة الكلية نفرضها عليهم قولهم بـــ

" الوجود ـ مع ـ الآخرين ـ في العالم " وتأكيدهم له ، الا أن النوع الأول من القيم هو الأكثر اتساقا مع فلسفاتهم وأن القول بهذه القيم الموضوعية العامة يتعارض تماما مع نزعة تأكيد الفردية والذاتية ضد كل ما يفرض عليها . بل وحتى هذه الأخلاق الذاتية سرعان ما تتلاشى حينما تنتقل الذات الى المدرج الديني عند كيركجور أو مجال العلو عند بسبرز .

هذا وانا نرد ، في النهاية ، أن نسجل هنا مالقيناه ـ خلال مراحل هذا البحث ـ من مشاكل وصعوبات لابد وأن تعترض طريق كل باحث في مثل هذا الميدان . فاذا كان البحث في الفلسفة الوجودية ، بصفة عامة ، يستلزم من الوقت والجهد ما يفوق ذلك الذي يستلزمه البحث فيما عداها من شتى الاتجاهات الفلسفية الأخرى ، فان البحث في الأخلاق الوجودية ، بصفة خاصة ، يستلزم وقتا أكبر وجهدا أكثر ويضع الباحث حيال الكثير من الصعوبات والمشاكل التي لاقبل بها لباحث في ميدان آخر .

وقد يكون طبيعيا أن يجد الباحث نفسه ازاء هذه المشكلات في فلسفة أراد لها أصحابها أن يكتنفها جو من الغموض مما حدا بمؤسسها ، وأعني به سورين كيركجور ، الى أن ينادي ـ في الكثير من مؤلفاته ـ بأن على المرء أن يكون سرا بالنسبة للآخرين . وفضلا عن ذلك ، فان الكثير من أقوال هؤلاء الفلاسفة قد جاءت متعارضة فيما بينها بل وأكثر من هذا فان كتابات الفيلسوف الواحد كثيرا ما تنطوي على تناقض ظاهر وتعارض أصيل .

ولعل هذا هو ماحدا بكيركجور أيضا ـ بغية اخفاء هذا التناقض ـ الى أن يصدر مؤلفات بأسرها باسماء مستعارة . فاذا ما كان الأمر متعلقا بالحديث عن موقف الوجودية من الأخلاق ، لبدت الصعوبة أكثر وضوحا . فالى جانب قلة المراجع وندرتها بل وصعوبة التحدث عن فلاسفة ما زالوا أحياء مما يجعل آراءهم عرضة للتغير المستمر ، نقول الى جانب ذلك ، فان مؤلفات الوجوديين أنفسهم قد خلت من كل بحث صريح يحمل هذا العنوان .

ومن ثمة أمسى غاية ما يطمح فيه باحث في هذا الموضوع لا يعدو مجرد الالمام بما ورد في مؤلفات الوجوديين من عبارات متناثرة قد تتصل به أو تدور حوله ، فاذا ما تم

له ذلك أخضع هذه العبارات والأقوال لتحليل عميق وتفسير دقيق علها أن يتبين منها موقف أصحابها من الأخلاق والقيم الأخلاقية . ولكنه في كل هذا كثيرا ما يكون عرضة للخطأ وهنا نجد تفسيرا لهذا الخلاف الحاد العنيف الذي ينشب بين الباحثين حول الموقف الأخلاقي في هذه الفلسفة .

ولكني أحمد الله على أن جعلني — وأقولها بكل فخر واعتزاز واعتراف بالجميل — بأستاذتي الفاضلة الأستاذة الدكتورة نازلي اسماعيل حسين التي تفضلت فقبلت الاشراف على هذا البحث ، والتي سوف أروع العمل لما ينبغي أن يكون عليه الاشراف العلمي السليم فبذلت من وقتها وجهدها وتوجيهاتها السديدة ما كلفها الكثير ، وما كان له أكبر الأثر في ظهور هذا البحث على هذا النحو . فإليها وحدها يرجع ما أحرزته هذه الدراسة من تقدم نحو بلوغ أهدافها ان كانت قد أحرزت تقدما ، وعلي أنا وحدي تقع مسئولية ما شابها من نقص أو قصور .

وإني اذ أحيي في سيادتها هذه الروح العلمية الموضوعية الممتازة فانه لا يفوتني أيضا أن أتقدم بجزيل شكري وعرفاني بالجميل الى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي الذي تفضل باختيار موضوع هذا البحث والذي كثيرا ما غذاني بفكره وروائي بخلقه .

مقـــــــدمة

هل يمكن قيام أخلاق وجودية ؟ هل الفلسفة الوجودية فلسفة أخـــلاقية ، أم أنها فلسفة غير أخلاقية ؟ بعبارة أخرى نقول : ما هو الموقف الذى يتخذه الوجوديون من القيم الأخلاقية ؟ وهل هو موقف القبول والاستسلام ، أم أنه موقـــف الرفض والانكار ؟

هذه هى الأسئلة التى لا بد أن تتردد فى ذهن الباحث فى الفلســـفة الوجودية . وهذا حال الباحث فى هذه الفلسفة أن يتجاهل الطابع هذه الأسئلة عليه ، فانه لا يملك الا أن يجد نفسه ازاءها وقد فرضت نفسها عليه فى كل مرحلة من مراحـــل بحثه ودراسته .

ومن ثم يجد الباحث نفسه ، فى نهاية الأمر ، مدفوعا الى البحث فى الأخلاق الوجودية بحقيقتين :

الأولى :

أن الفلسفة الوجودية ، وقد اتخذت من الانسان المتعين الحقيقى محلا يحتوى عليه من مواقف حية ، موضوعا لدراستها ، ومركزا تدور حوله أبحاثهـــا ، فانها لا بد وأن تكون قد اتخذت موقفا ما من القيم الأخلاقية التى هى فـــى صميمها قيم انسانية بحتة تعبر مجمل الوجود الانسانى .

والثانية :

هى أن مصير الوجودية بأسرها ـ وهذا ما لا ينكره أحد ـ انما يتوقف على هذا الموقف الذى تتخذه هذه الفلسفة من الأخلاق والقيم الأخلاقية . ذلك أن جميع أولئك الذين يرفضون هذا الاتجاه الفلسفى أو يحطون عليه انما هـــم مدفوعون ، فى سلوكهم هذا ، باعتقاد أساسى مؤداه أن هذه الفلسفة ليست فلسفة غير أخلاقية فحسب ، بل وضاحية أيضا لشتى النزعات الأخلاقيـــة .

كما أن جميع أولئك الذين يقبلون الوجودية ويعتنقونها ، ويقبلون عليها إنما هم يفعلون ذلك إما لأنهم يرون فيها أنها فلسفة أخلاقية ، أو لأنهم يعتقدون — على الأقل — أنها فلسفة لم تتجاوز بعد مرحلة البحث الأنطولوجي دون أن تشغل نفسها بالبحث في المسائل الأخلاقية .

ومن ثم تكون الوجودية — عند أصحاب هذا الاعتقاد — مجرد دراسة أنطولوجية للإنسان فحسب ، بعيدة كل البعد عن البحث في القيم الأخلاقية ، شأنها في ذلك شأن علم الكيمياء مثلا الذي يتناول بالدراسة المركبات الكيميائية المختلفة التي لا علاقة لها بالأخلاق من قريب أو بعيد .

من هنا إذن كان التساؤل عن الأخلاق الوجودية يفرض نفسه على كل باحث في هذه الفلسفة ، ومن هنا أيضا جاءت أهمية دراسة الأخلاق في الفلسفة الوجودية ، وموقف الوجوديين من القيم الأخلاقية .

إلا أن دراسة هذا شأنها لن تتيسر ، فيما نعتقد ، بل ولن نصل فيها إلى نتائج حاسمة إلا إذا حددنا بادئ ذي بدء ما نقصده بلفظ "الأخلاق" . ذلك أننا نعتقد أن ما نراه اليوم من اختلافات شاسعة حول موقف الوجودية من الأخلاق إنما هو يرجع أساسا إلى عدم تحديد هذا اللفظ .

والرأي عندنا أن هذه الخلافات كان يمكن أن تزول ، أو على الأقل ، أن تخف حدتها ، لو حاول الباحثون — في هذا الميدان — أن يحددوا قبلا ما يقصدونه بهذا اللفظ ، فبغير تحديد هذا اللفظ لن يتبينوا وجه الصواب في هذه المسألة .

فما الذي يقصده الباحثون بهذا اللفظ ، حينما يثيرون السؤال عن الأخلاق الوجودية ؟ .

ذلك أن الدارس لتاريخ الفلسفة سوف يدرك أن ثمة نوعين من الأخلاق سادتا هذا التاريخ منذ بدئه حتى الآن وأعني بهما الأخلاق الذاتية النسبية الجزئية المتغيرة من ناحية ، والأخلاق العامة الكلية المطلقة

الثابتة من ناحية أخرى . وكلتاهما ترجع ، في النهاية ، إلى الموقف الفلسفي الذي يتخذه القائلون بها .

ذلك أنه إذا كان مما يتنافى مع طبيعة الفلسفة ذاتها أن تخضع لقانون واحد ، أو قاعدة واحدة ، تسيطر عليها طوال مراحل تاريخها الطويل ، ويحكم اختلافات مفكريها ومذاهبها ومدارسها ، إلا أن الدارس لهذا التاريخ الفلسفي لا يلبث أن يجد أن ثمة ظاهرة عامة قد سادت هذا التاريخ كله ، وأعني بها تلك الظاهرة التي تؤكد أن الموقف الخلقي عند الفيلسوف إنما هو امتداد لموقفه الفلسفي بوجه عام .

ذلك أن الفيلسوف يبدأ دائما ، وفي كل الأحوال ، بتحديد موقفه من الكون والعالم ، فإذا ما انتهى من ذلك ، مد نطاق هذه النظرة إلى الأخلاق ، ومن ثمة اصطبغت الأخلاق عنده بلون المذهب الفلسفي الذي يعتنقه ويؤيده .

ولذلك فإن الالمام بآراء الفيلسوف الابستمولوجية والأنطولوجية يعتبر تمهيدا أساسيا ، بل ومقدمة ضرورية لازمة لفهم مذهبه الأخلاقي من حيث أنها تلقي النور من الضوء على آرائه الأخلاقية ، بدونها يتعذر فهم مذهبه في الأخلاق .

الا أنه ثمة تيارين كبيرين رئيسيين يقسمان الفلسفة الى قسمين ، وأعني بهما التيار الواقعي الحسي التجريبي من ناحية ، والتيار العقلي المثالي الحدسي من ناحية أخرى . ومن ثمة جاءت المدارس والمذاهب الفلسفية ، منذ فجر الفلسفة ، — في أغلبها — مندرجة تحت هذا التيار أو ذاك .

ويرد الخلاف بين التيارين الى اختلافهما في تصور مصدر المعرفة بالموضوعات والأشياء الخارجية . فالحسيون والتجريبيون يذهبون إلى أن مصدر هذه المعرفة إنما هي الحواس والتجربة الخارجية . فإذا كانت الأشياء الخارجية ، فيما يذهب

هؤلاء ، تشبع بوجود حقيقى واقعى منفصل عن وجود الذوات التى تدركها بل والتى قد لاتدركها ، فإن المعرفة ، بهذه الأشياء الخارجيـــة ، تتم حينما تنقل الحواس صورها إلى الذهن .

وكما أن التجربة الخارجية — عند أصحاب هذا الاتجاه — هى مصدر المعرفة بالعالم ، كذلك فإن هذه التجربة أيضا هى مصدر المعرفة بالقيم الأخلاقية التى تنشأ فى مجتمع معين — شأنها فى ذلك شأن سائر الظواهر الاجتماعية الأخرى — نتيجة لاجتماع أفراده ، وفى ضوء تجاربهم الخاصة .

ولما كانت التجارب التى تمر بها الأمم والجماعات متغيرة مختلفـــــة باختلاف ظروف كل مجتمع ، وباختلاف زمانه ومكانه ، كانت القيم الأخلاقية التى تسود المجتمعات المختلفة ، مختلفة متغيرة أيضا ، ومن ثم أضحت هذه القيم فيما تسبهه جزئية متغيرة تختلف من أمة إلى أمة ومن جماعة إلى أخرى بل ومن فرد إلى آخـر .

بل إن من أصحاب هذا الاتجاه من ذهب إلى أن هذه القيـــــم الأخلاقية قد تختلف عند الفرد الواحد من فترة زمنية إلى فترة زمنية أخرى ، أو من موقف إلى موقف آخر على نحو ما قالت السوفسطائية .

ومن ثمة أضحت مهمة عالم الأخلاق — فى هذه النظرة — تقوم فى وصـــف ودراسة هذه القيم عند كل جماعة وليست فى وضع المثل العليا التى ينبغـــى أن يسير عليها السلوك الإنسانى على نحو ما رسمت المذاهب المثالية كما سنرى الآن .

ذلك أن العقليين والمثاليين قد ردوا — فى مذاهبهم الإبستمولوجية — المعرفة إلى العقل ، ولما كان العقل واحدا عند كل الجماعات والأفراد ، فقد كانت الحقائق — فى ميدان المعرفة — عامة مطلقة لاترتبط بزمان ولا تتقيد بمكان بل ولا تختلف باختلاف الأفراد والجماعات .

وكما أرجع أصحاب هذا الاتجاه المعرفة الى العقل ، فانهم أرجعوا القيم الأخلاقية الى العقل أيضا . وعدت الأخلاق عندهم علما معياريا تقوم وظيفته ، أساسا ، فى وضع العقل العليا التى ينبغى أن يخضع لها السلوك الانسانى ، وأن يسير على هديها .

واذا كانت الحقائق — فى ميدان المعرفة — عامة مطلقة ، فان القيم — فى ميدان الأخلاق — أيضا عامة مطلقة ، غير مختلفة ولا متغيرة ، بل هى واحدة فى كل زمان ومكان غير متأثرة باختلاف الظروف والأحوال ، وان أثر أصحاب هذا الاتجاه الاختلاف فى تطبيقات هذه القيم الأصلية .

وقد بلغت هذه النظرة المثالية الى الأخلاق ذروتها فى مبدأ الواجب عند كانت . ذلك أن هذا الفيلسوف قد ذهب — على نحو ما سنرى — الى أن الفعل الخلقى لا يستمد قيمته الا من ذاته ، ومن ثم رأى كانت أن يربط بين الفعل الخلقى ونتيجته على نحو ما نعمل التجريبيون ، وهذا الانسان — فى فلسفته — يؤدى واجبه لمجرد أنه انسان عاقل ، ويدافع من مبدأ الواجب فقط . ومن هنا يغدو الانسان — فى المذهب الكانتى — كائنا أخلاقيا يأتى الفضيلة ويتجنب الرذيلة دون نظر حتى الى ما قد ينشأ عن هذا من آثار مفيدة نافعة أو ينجم عنه من آثار سيئة ضارة .

ثمة اتجاهان فلسفيان اذن ، اتجاه حسى تجريبى يرى أن الحقائق — فى ميدان المعرفة — جزئية نسبية متغيرة ، وأن القيم — فى مجال الأخلاق — جزئية نسبية متغيرة أيضا ، واتجاه عقلى مثالى ينادى ، على العكس من ذلك تماما ، بأن الحقائق فى المعرفة وكذلك القيم فى الأخلاق انما هى عامة مطلقة لا تتقيد بزمان ولا ترتبط بمكان ، ومن ثم فانها تكون صادقة فى جميع الظروف والأحوال وعند مختلف الشعوب والافراد .

والحق أن هذا التصور للاخلاق هو الأكثر شيوعا ، فأينما تحدثنا عن الأخلاق ، قصدنا منها ذلك العلم المعيارى الذى تقوم وظيفته فى وضع العقل العليا التى ينبغى أن يتصرف الانسان بمقتضاها مهما اختلف زمانه ومكانه أو ظروفه وأحواله .

ومن هنا بدت أهمية تحديد هذا اللفظ حينما نتحدث عن الأخلاق الوجودية . فأى هذين المعنيين نقصد ، عندما نتحدث عن الاخلاق فى الفلسفة الوجودية ؟ وهل نحن نقصد الأخلاق بمعناها الذاتى الجزئى المتغير ، أم أننا نقصد الأخلاق بمعناها المثالى الموضوعى المجرد ؟ .

الواقع أن الباحث فى الفلسفة الوجودية يخطئ كثيرا اذا اعتقد أنه سيجد — فى هذه الفلسفة — أخلاقا بهذا المعنى المثالى المجـــرد ، فالوجودية ، بطبيعتها ، تنفر من كل ما هو عقلى موضوعى مجرد . وهذا هو السبب فيما قام به الوجوديون من حملات عديدة ، وهجمات شديدة على كل فكر نظرى خالص ، وعلى كل نزعة عقلية مجردة بل وعلى كل تفكير موضوعى لانه لا يمس الوجود الانسانى فى صميمه كما سنرى فيما بعد .

وهنا نجد أن نقطة الانطلاق لفهم الاخلاق الوجودية انما هى الأخلاق الكانتية من حيث انها رد فعل قوى ضد هذه الأخلاق الكانتية التى بلغت حدا من التجريد جعلها عرضة لسهام الكانتيين أنفسهم .

ان الأخلاق الوجودية لا تفهم الا ابتداء من الواجب المجرد عند كانت . فاذا كانت الوجودية — فى المعرفة — ثورة على الفلسفة العقلية المجردة ممثلة فى هيجل الذى بلغت هذه الفلسفة العقلية المجردة ذروتها عنده ، فان الوجودية — فى الأخلاق — انما هى ثورة على الاخلاق العقلية المجردة أيضا ، تلك الأخلاق التى بلغت قمتها فى مبدأ الواجب عند كانت . ومن هنا تأتى أهمية الحديث عن الأخلاق الكانتية بوصفها التمهيد الضرورى الذى لا غنى عنه لفهم طبيعة الأخلاق فى الفلسفة الوجودية .

ولكن اذا كانت الفلسفة الوجودية ثورة على التفكير العقلى المجرد متمثلا فى المطلق عند هيجل ، وفى مبدأ الواجب عند كانت ، فان هذه الفلسفة لم تكن هى الفلسفة الوحيدة التى اتخذت هذا الموقف من التفكير العقلى المجرد بل اننا نستطيع أن نعدّ جميع الاتجاهات الفلسفية المعاصرة ثورة على هذا التفكير . فالفلسفة الوضعية والعملية البرجماتيـــة والتحليلية والوضعية المنطقية والماركسية ليست سوى ثورة على نزعة هيجل المثالية المجردة .

وكما اتخذت هذه الاتجاهات الفلسفية المعاصرة هذا الموقف من الفلسفة العقلية المجردة ، فانها قد اتخذت أيضا نفس الموقف من القيم الأخلاقية العقلية المجردة . ومن ثم فإن الإلمام بتصور هذه الاتجاهات الفلسفية المعاصرة للأخلاق يلقي كثيرا من الضوء على موقف الفلسفة الوجودية من الأخلاق .

فهنالك يتبين الباحث أن الوجودية — في موقفها من هذه القيم العقلية المطلقة ومرتفعها لها ، وقولها بقيم ذاتية نسبية متغيرة ، كما سنرى من خلال دراستنا هذه — تقول هنالك يتبين الباحث أن الوجودية ، في موقفها هذا ، لم تكن تمتازا ، وإنما كانت أيضا مسايرة لمنطق عصرها ، متسقة تماما مع غيرها من فلسفات هذا العصر الذي هو عصر الثورة على المطلق وعلى بناء المذاهب العقلية الشامخة .

وإذا ما كان الأمر كذلك ، فإن الحديث عن الأخلاق عند كانت ، وموقف الاتجاهات الفلسفية المعاصرة منها ، يغدو ضروريا لفهم الأخلاق في الفلسفة الوجودية .

* * *

الباب الأول

الأخلاق قبل الوجودية